

تفسير البحر المحيط

. @ 145

روي أن موسى عليه السلام لما عزم الخضر على مفارقتها أخذ بثيابه ، وقال : لا أفارقك حتى تخبرني بمـَ أباح لك فعل ما فعلت ، فلما التمس ذلك منه أخذ في البيان والتفصيل ، فقال : { أَمَّـا السَّـفِينَةُ } فبدأ بقصة ما وقع له أولاً . قيل : كانت لعشرة إخوة ، خمسة زماني وخمسة يعملون في البحر . وقيل : كانوا أجراء فنسبت إليهم للاختصاص . وقرأ الجمهور : مساكين بتخفيف السين جمع مسكين . وقرأ عليّ كرم الله وجهه بتشديد السين جمع مساك جمع تصحيح . فقيل : المعنى ملاحين ، والمساك الذي يمسك رجل السفينة وكل منهم يصلح لذلك . وقيل : المساكون دبة المسوك وهي الجلود واحدها مسك ، والقراءة الأولى تدل على أن السفينة كانت لقوم ضعفاء ينبغي أن يشفق عليهم ، واحتج بهذه الآية على أن المسكين هو الذي له بلغة من العيش كالسفينة لهؤلاء ، وأنه أصلح حالاً من الفقير . وقوله { فَأَرَدْتُ } فيه إسناد إرادة العيب إليه . وفي قوله : فأراد ربك أن يبلغا لما في ذكر العيب ما فيه فلم يسنده إلى الله ، ولما في ذلك من فعل الخير أسنده إلى الله تعالى . قال الزمخشري : فإن قلت : قوله { فَأَرَدْتُ } أنْ أَعْيَبَهُمَا { مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه ؟ قلت : النية به التأخير ، وإنما قدم للعناية ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ، ولكن مع كونها { * المساكين } فكان بمنزلة قولك : زيد طني مقيم .

وقيل في قراءة أبيّ وعبد الله كل سفينة صالحة انتهى . ومعنى { فَأَرَدْتُ } أنْ أَعْيَبَهُمَا { بخرقها . وقرأ الجمهور { وَرَاءَهُمْ } وهو لفظ يطلق على الخلف وعلى الأمام ، ومعناه هنا أمامهم . وكذا قرأ ابن عباس وابن جبير . وكون { وَرَاءَهُمْ } بمعنى أمامهم قول قتادة وأبي عبيد وابن السكيت والزجاج ، ولا خلاف عند أهل اللغة أن وراء يجوز بمعنى قدام ، وجاء في التزيل والشعر قال تعالى { مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ } وقال { وَمِنْ وَرَائِهِمْ عَذَابٌ غَلِيظٌ } وقال { وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ } . وقال لبيد : % (أليس ورائي إن تراخت منيتي % . لزوم العصا يحني عليها الأصابع . %)

وقال سوار بن المضرب السعدي % (أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي % . وقومي تميم والفلاة ورائيا .

. %)

وقال آخر % (أليس ورائي أن أدب على العصا % .

فتأمن أعداء وتسأمني أهلي وقال ابن عطية : وقوله { وَرَاءَهُمْ } عندي هو على يابه ،
وذلك أن هذه الالفاظ إنما تجيء يراعى بها الزمن ، والذي يأتي بعد هو الوراء وهو ما خلف
، وذلك بخلاف ما يظهر بادي الرأي ، وتأمل هذه الألفاظ في مواضعها حيث وردت